إتحاف الأمة

بالتعليق على وصية شيخ السُنة

المحدث العلامة

(محمد ناصر الدين الألباني)

الطَّبْعَةُ الأُولَى

2025

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (498 / 1 / 2025)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب إتحاف الأمة بالتعليق على وصية شيخ السنة

تأليف الطويل، فرحات درويش فرحات

بيانات النشر عمان: فرحات درويش فرحات الطويل، 2025

الوصف المادي 54 صفحة.

الطبعـــة الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

إتحاف الأمة

بالتعليق على وصية شيخ السُنة

المحدث العلامة

(محمد ناصر الدين الألباني)

بقلم

فــرحــات الطــويـل

تقريظ الشيخ المفسر

فرحان الطائي

مقدمة الشيخ الدكتور

فرحان عبد العزيز الطائي

الحمدُ للهِ مستحقُ الحمدِ، والصلاةُ والسلامُ على رافعِ لواءِ الحمدِ، سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابِه وأحبابِه، ثم أما بعدُ:

عندما نقفُ مع كلماتٍ نورانّيةٍ، لعالمٍ ربانّي، تئلُّ في سماءِ العلمِ.

استغرقتْ في إشراقِها عُمراً مديداً من حياةِ أحدِ العلماءِ العاملينْ: المحدّثِ العلامةِ (مُحَمَدْ ناصرَ الدين الألباني) رحمه الله، الذي قدَّرَ اللهُ له شرفَ خدمةِ حديثِ نبيهِ الكريم ﷺ.

هذه الكلماتُ، وهي تُحاكي مسيرةَ حياةٍ، وتَجربةَ أيامٍ نفدتْ في حلقاتِ العلمِ، وعلى حصيرِ المساجدِ، وأنفقتِ الصحةَ في ثَنيِّ الرُكَبِ في سجودٍ وركوعٍ بين مزاحمةِ الصفوفِ، ومجالسةِ المخطوطاتِ في أورقةِ المكتبات.

يقطِفُ لنا فضيلةُ الشيخِ (فرحات الطويل)، من تلك الدَوحةِ الغنّاء من ثمرةِ هذه الشجرة التي بلغتْ عَنانَ سماءٍ في وصيةٍ أجدرَ أنْ تكونَ مُخططاً لطالبِ العلم، وهو يسيرُ بين هذه الأهواءِ، وتِلْكَ الأَدْوَاءِ، يَرجُو النَّجاةَ ويَخَافُ الآخِرَةَ، ويَبْتَغي رضى الرحمنِ -جلَّ وعلا -.

رحمَ اللهُ الشيخَ، وأسكنهُ فسيحَ جناتِه، وألحقنا بركبِ أهلِ العلم، وبارك بجهودِ الشيخ (فرحات الطويل)، آمين، آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

كتبه

الفقير إلى الله

فرحان عبد العزيز الطائي

٨ / ٨/ ٢٠١٦م

❋ ❋ ❋

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فقد روى أبونُعيم الأصفهاني، والخطيب البغدادي، والحافظ المزي بأسانيدهم[1] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (الناس ثلاث:

فعالمٌ رباني.

---

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٧٩) الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٨٢) المزي في تهذيب الكمال (٢٢٠/ ٢٤).

قلت: وهذا الأثر مع ضعف إسناده إلا أنه تلقي بالقبول، وقد اعتنى بشرحه العُلماء، فقد شرحه الإمام ابن القيم رحمه الله كما في (مفتاح دار السعادة(٤٠٣/ ١) والحافظ ابن رجب في رسالته (كشف الكُربة في وصف حال أهل الغُربة) (ص ١٤).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: (هذا من أحسن الأحاديث معنىً، وأشرفها لفظاً).

ومتعلمٌ على سبيل النجاة.

وهمجٌ رعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلون مع كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيق).

فهذا تقسيمٌ في غاية الصحة ونهاية السداد، لأنّ الناس لايخلون عن هذه الأقسام الثلاثة:

فإما أن يكون أحدهُم عالماً ربانياً.

أوطالب علم يريد بعلمه النجاة.

أوجاهل من الرعاع الذين ينعقون مع كلِّ ناعقٍ، لايدري أحدُهم ماذايريد ولا إلى أين يسير!!

والعالم الرباني؛ هوالعالم الرفيع الدرجة، العالي المنزلة، فهوالذي بلغ الذّروة في العلم والعمل، وربى الناس على مسائل العلم الصّغيرة قبل الكبيرة.[١]

---

(١) وبالعلم والعمل والدعوة والصبر يصير العالم ربانيًا، كما جاء هذا المعنى من كلام ابن القيم في "المدارج".

وهو القدوة في علمه وعمله وكلِّ أحواله، من أجل ذلك؛ كان للعالم الرّباني أثرٌ في حياة الناس، فهُم برأيه يسترشدون، وبعين بصيرته ينظرون، وبحكمته يقتدون.

فدعواه هدىً، ورأيه نور، وسبيله نجاة، لأنه من ورثة الأنبياء، ومن أتباعِ الرسل والأصفياء.

ومن هؤلاء الأحبار، الذين اقتدى بهم الأخيار، وطنّت بذكره الأمصار، واجتمعت عليه قلوب أهلِ الحق في كلِّ البلاد والأقطار، شيخُ مشايخِنا، ربّانيُّ الأمّة، وشيخُ السُّنةِ، العلامة المحدّث (**محمد ناصرالدين الألباني**) رحمه الله تعالى.

وليس لمثلي أن يُعرّف على هذا العالم العامل، والإمام المُربي الفاضل، فهوغنيٌّ عن التّعريف، والذكر والثّناء –بين طلبة العلم وأهله– إلّا أننّا نتقرّبُ إلى الله تعالى بحبه، ونرجوا الثّوابَ على نشر حكمته، وخصوصاً في زمنٍ قلَّ فيه مثلُه، وعزَّ فيه نظيرُه.

وقد كنتُ وقفتُ على وصّيةٍ غاليةٍ، عزيزةٍ، للشيخ رحمه الله، فيها كلماتٌ نافعات، وآدابٌ إسلاميةٌ عاليات، تدلّ على بصيرته، وحكمتهِ وخبرته -قدس اللهُ روحهُ ونورضريحه-.

وهي وصيّةٌ جامعةٌ، استقصى فيها من القولِ مالم يستقصِه في غيرها، ففرغتها من الشّريط[1] لنشرها، ورأيتُ أن أعَلّق عليها تعليقاتٍ يسيرةً موجزةً، لتعمّ الفائدة.

ولستُ أزعمُ أنّني جئتُ بشيءٍ -جديد، أوعملٍ فريدٍ، إلّا أنّي أردت بذلك تذكير الخاصة والعامة ببعض أصول الدعوة السنية السلفية، لاسيما ونحن نعيش زمن الفتنة، واختلاف الكلمة، وغياب القُدوة، وتباين الأراء، وكثرة الأهواء، وإلى الله وحده المشتكى.

---

(١) من سلسلة الهدى والنور (برقم: ٩٠٠) بعنوان: وصية إمام السنة لعموم الأمة.

فـأردت أن يقف إخـواننا على مثلِ هذه الكلمات الغاليات، ليستفيدوا من خبرة شيخٍ قضى عمره في خدمة العلم، وشاب رأسُـه في دعـوة النّاس إليه، فهي قـواعد جـامعة، وطريقٌ نيِّرة، وسبيلٌ مثمرة، لمن أراد نيل شرف الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم على إمام المرسلين وخاتم النبيين،

محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين.

وكتب: فرحات الطويل.

❊ ❊ ❊

قال الشّيخُ رحِمَهُ اللهُ تعالى:

أوصي كلَّ مُسلِمٍ على وجهِ الأرضِ -وبخاصةٍ إخواننا الذين يشارِكُوننا بالانتماء إلى دعوَةِ الكتابِ والسُنةِ وعلى منهجِ السلف الصالح- أوُصيهم ونفسي بتقوى اللهِ تباركَ وتعالى أولًا.

التعليق:

التقوى هي جِماعُ الخيرِ ورأسُ كلِّ أمرٍ، وما مِن خيرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ إلا والتقوى موصلةٌ إليه ودليلٌ عليه، وهي من الشّرِّ حرزٌ حصين، ودرعٌ منه مكين، وهي وصيةُ اللهِ تبارك وتعالى للأولين والآخرين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ١٣١).

كما أنّها وصية النبّي الأكرم ﷺ ففي (المسند) عند الإمام أحمد وعند والترمذي بسند صححه الألباني كما في صحيح الجامع (٢٥٤٨) عن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً بليغةً ذرفت منها العيونُ ووَجلت منها القُلوبُ، فقال

رجلٌ: يا رسول الله ! كأنها موعظةُ مودّعٍ، فماذا تعهدُ إلينا؟ فقال: «أوصيكم **بتقوى الله** .. ». الحديث .

والآياتُ والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ ووفيرةٌ ليس هذا مَوضِعُ سردها، إذ إنّ المرادَ في هذا المقامِ معرفةُ معناها وبيانُ مقتضاها.

قال الإمامُ الحافظُ أبو الفرج ابن رجب الحنبلي رحمه الله (١): (وأصلُ التقوى، أن يجعل العبدُ بينَه وبينَ ما يخافُه ويحذُره وقاية تقيهُ منه، فتقوى العبدِ لربِه أن يجعلَ بينَه وبينَ ما يخشاهُ من ربِه من غضبِه وسخطِه وعقابِه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعلُ طاعتِه واجتنابُ معصيتِه ... ويدخلُ في التقوى الكاملةِ فعلُ الواجباتِ وتركُ المحرماتِ والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعلُ المندوباتِ وتركُ المكروهاتِ، وهو أعلى درجات التقوى .

---

(١) كما في كتابه "جامع العلوم والحكم" : (١/٣٩٨).

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: المتقون الذين يحذرون من اللهِ عقوبتَه في تركِ ما يعرفون من الهدي ويرجونَ رحمتَه في التصديقِ بما جاء به .

وقال عمر بن عبد العزيز: وليست التقوى بصيام النهار وبقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله تركُ ما حرّم الله، وأداءُ ما افترض الله، فمن رُزق بعد ذلك خيراً فهو خيرٌ الى خير.

وقال الحسن: المتقون اتقوا ما حُرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم .

وقال طلقُ بن حبيب: التقوى أن تعملَ بطاعةِ الله على نورٍ من الله ترجوا رحمة -َالله، وان تتركَ معصيةَ اللهِ على نورٍ من اللهِ تخافُ عقابَ الله). انتهى .



قال الشيخُ رحِمَهُ اللهُ تعالى:

ثم بالإستزادة من العلمِ النافع، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

التعليق:

لا يزالُ العلماءُ الرّبّانيون يُوصُونَ النّاسَ بالتَزوّد مِنَ العِلمِ النافعِ وهو؛ علمُ الكتابِ والسنةِ، وضبطِ نُصوُصِها (وفهمِ معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثورِ عن الصحابة والتابعين وتابعيهم من معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائلِ الحلالِ والحرامِ، والزهدِ والرقائِق والمعارفِ وغيرِ ذلك .

والإجتهادُ على تمييزِ صحيحهِ من سَقيمهِ أولاً، ثم الإجتهادُ على الوقوفِ على معانيه وتفَهمُّه ثانياً .

وفي ذلك كفايةٌ لمن عَقِل، وشغلٌ لِمَن بالعِلمِ النافعِ عُنَي واشتَغل.

ومن وقَفَ على هذا وأخلصَ القصدَ فيه لــوجهِ الله عــزوجــل

واستعان عليه؛ أعانَهُ وهداهُ، ووَفَقهُ وسدَدَهُ وفهَمَهُ وألهَمَهُ، وحينئذٍ يُثمِرُ لهُ هذا العلمُ ثمَرَتَهُ الخاصةِ به وهي؛ خشَيةُ اللهِ كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ۗ﴾ (فاطر: ٢٨).

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالإغترار بالله جهلاً .

وقال بعض السلف: ليس العلمُ بكَثرةِ الرواية، ولكن العلم الخشية .

وقال بعضهم: من خشي الله فهو عالمٌ، ومن عصاه فهو جاهلٌ .

وكلامُهم في هذا المعنى كثيرٌ جداً.

وسببُ ذلك أنَّ هذا العلمَ النافعَ يدلُّ على أمرين:

أحدهما: معرفةُ اللهِ -تعالى - وما يستَحِقُه من الأسماءِ الحُسنى والصفاتِ العُلى والأفعالِ البَاهرةِ، وذلك يستَلزِمُ إجلالَهُ وإعظَامَهُ وخشيَتهُ ومهابتَهُ ومحبتَهُ ورجاءَهُ والتوكل عليه والرضى بقضائِه والصبرِ على بلائِهِ.

والأمر الثاني: المعرفَةُ بما يُحبُه ويرضاهُ، وما يكرَهُه ويسُخِطُه من الإعتقاداتِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ والأقوال، فيوجِبُ ذلك لمن عَلِمهُ المسارعةُ إلى ما فيِه محبةُ اللهِ ورضاه والتباعُدِ عما يكرَهُه ويسُخِطُه .

فإذا أثمَر العلمُ لصاحبِه فهو علمٌ نافعٌ، فمتى كان العلمُ نافعاً ووَقَرَ في القلبِ، فقد خشَع القلبُ للهِ و انكسَر لهُ وذلَّ هيبةً وإجلالاً وخشيةً ومحبةً وتعظيماً، ومتى خشع القلبُ للهِ وذلَّ وانكسَر له، قنَعت النفسُ بيسيرِ الحلالِ من الدنيا وشَبعت بهِ، فأوجبَ لها القناعةَ والزهدَ في الدنيا وكلِّ ما هو فانٍ لا يبقَى من المالِ والجاهِ وفُضُولِ العيَشِ الذي ينقصُ به حظُ صاحبِه عند اللهِ من نعيمِ الأخرة، وإن كان كريماً على اللهِ كما قال ابنُ عمَر وغيرُه من السلف.

فالعلمُ النافعُ ما عرَّفَ بينَ العبدِ وربِه، ودلَّ عليِه حتى عرَف ربَّه ووحدَّهُ وأنِسَ بِه واستحى من قُربِه وعبدَهُ كأنُه يراهُ.

وهذا قالت طائفةٌ من الصحابةِ: إنّ أوّلَ علمٍ يُرفَعُ مِن الناسِ الخُشُوعُ .

وقال ابنُ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهم.

وكان السّلفُ يقولون: أن العلماء ثلاثةٌ:

الأول: عالمٌ بالله، عالمٌ بأمر الله .

الثاني: عالمٌ بالله، ليس بعالمٍ بأمره.

الثالث: عالمٌ بأمرِ الله ليَس بعالمٍ بالله .

وأكمَلُهم الأول؛ وهو الذي يخشى الله ويعرِفَ أحكامَهُ .

فالشأنُ كلُّه في أن العبدَ يستدلُ بالعلمِ على ربِّهِ فيعرفه، فإذا عرفَ ربَه وجدَهُ منه قريباً، ومتى وجدَهُ منه قريباً قرّبَهُ إليه وأجابَ دُعاءَهُ.

فأصلُ العلمِ باللهِ الذي يُوجب خشَيتَهُ ومحبَتهُ والقربَ مِنُه والأُنُسَ بهِ والشوقَ إليهِ، ثم يتلوه العلمُ بأحكامِ اللهِ وما يُحبُه ويرَضَاهُ

من العبَد من قولٍ أو عملٍ أو حالٍ أو اعتقادٍ، فمن تحقّق بهذين العلمين – العلمُ بالله والعلمُ بأمرِ الله – كان علمُه نافعاً وحصلَ له العلُمُ النافع والقلبُ الخاشع، والنفسُ القانعة والدعاءُ المسموع) [١].

هذا هو العلمُ النافع التي جاءت نصوصُ الكتابِ والسُنةِ تحثُ عليه وتبيُّن فضلَهُ ومنزلةَ أهلِه، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه: ١١٤).

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩).

وروى الترمذي بسند صححه الألباني في "صحيح الجامع" (١٨٣٨) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم».

(ومن فاته هذا العلمُ النافع وقع في الأربع التي إستعاذ منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصار وبالاً وحجةً عليه فلم ينتفع به، لأنه لم يخشع قلبُه

(١) من كتاب "بيان فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب.

لربِهِ، ولمْ تشبع نفسُه من الدنيا، بل ازدادَ لها حِرصاً وطلباً، ولم يُسمع دعاؤُه لعدمِ إمتثاله لأوامر ربه، وعدم إجتنابه لما يُسخِطُه ويكَرهُه.

وعلاماتُ هذا العلم الذي لا ينفع أنّه يُكسب صاحبَه الزَّهو والفَخَر والخُيلاء، وطلبَ العلوِّ والرِّفعةِ في الدّنيا والمنافسةِ فيها وطلبِ مباهاةِ العلماءِ ومماراة السُّفهاء وصرفِ وجوهِ النّاسِ إليه) (١) .

وقد روى الترمذي (٢٦٥٤) بسند حسّنه الألباني عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من طلب العلم ليجاري العلماء، أو ليماري السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار».

(ولا بدَّ من تعريف المسلمين – الذين يريدون العلم النافع – بإمر مهمٍّ جداً في هذا الباب فأقول:

يجبُ الحذر من ولوجِ أبوابِ السّياسة المعاصرة الظالِمِ أهلُها تحت مسمى العلم بفقه الواقع مُغتّرين بكلماتِ السَّاسةِ مُردّدينَ

(١) من كتاب "بيان فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب .

لأساليبهم غاريقين بطرائقهم؛ وإنما الواجبُ هو السَّيرُ على السّياسةِ الشّرعيةِ ألا وهي (رعايةُ شؤون الأمة) ولا تكونُ هذه الرعاية إلّا في ضَوءِ الكتابِ والسُنة، وعلى منهج السّلف الصالح، وبيدِ أولي الأمرِ من العُلماء العاملين والأمراء العادلين، (فإن الله يَزَعُ بالسُّلطانِ ما لا يَزَعُ بالقُرآنِ) (١).

أمّا تلكَ السياسةُ الغربية التي تفتح أبوابها وتَخدعُ أصحابَها؛ فلا دِينَ لها وسائرُ من انساق خلفها أو غَرِقَ ببحِرِها، أصابَهُ بأسُها وضربَهُ جحيُمها لأنهُ إنشغلَ بالفَرعِ وترك الأصل.

والقاعدةُ التاريخية الواقعيّة الدعوّية تقولُ: (من تَعجَّلَ الشَّيء قبلَ أوانِهِ عُوقِبَ بحرمَانِهِ) (٢).

ورَحِمَ اللهُ مَن قالَ:

من مُخبِرُ القومِ شَطَت دارُهم ونَأت ** أني رَجَعتُ إلى كُتُبي وأوراقي

---

(١) الدر المنثور (٤/٩٩).

(٢) من رسالة "حول فقه الواقع" للألباني ص١٢ بتصرف.

عِفتُ (السِّياسَة) حتى ما أُلِمُّ بها ** وقد رَدَدْتُ إليها كُلَّ ميثاقي

لأنها جَشَّمَتني كُلَّ نائِبَةٍ ** ولأنها كَلَّفَتني غَيرَ أخلاقي!!

هذا! ولقد (نبتَت في هذا العصرِ – نابِتةٌ – لم يؤتوا من العلمِ الشرعي إلا نزراً يسيراً وبخاصةٍ ما كانَ منهُ متعلقاً بالأصولِ الفقهية، والقواعدِ العِلميَةَ المستقاةِ مِنَ الكتابِ والسُنةِ وما كانَ عليهِ السلفُ الصالحِ، ومع ذلك اغتروا بعلمهم، فانطلقوا يُبدّعون كبارَ العلماءِ والفُقهاءِ وربما كفّرُوهم لسُوءِ فَهمٍ أو زَلّةٍ وقعت منهم، ولا يرَقبُون فيهم إلاًّ ولا ذِمَة) (١).

فهذه فتنةٌ عظيمةٌ ضَربتِ المُسلمينَ وفّرقَت كلِمَتهم وشَتَتّ صُفوفَهم تحتَ مسمّى (علم الجرح والتعديل) .

(ولقد أصابَ طرفٌ من هذه الفتنةِ القاسيةِ جَذرَ قلوبِ عددٍ كبيرٍ من الدُّعاةِ وطلبةِ العِلم فانقسموا –وللأسف الشديد –على

(١) من كلام الشيخ الألباني كما في" الصحيحه "(٧/١١٤) بتصرفٍ يسير.

أنفسِهم فصارَ بعضُهم يتكلّمُ في بعضٍ، والبعضُ الآخُر ينتقدُ الباقين ويَرُدّ عليهم .. وهكذا.

وليست تلكَ الرُدودُ مُجَرَدةً أو هاتِيكَ النَّقداتِ وحدَها بضائرةٍ أحداً من هؤلاء أو أولئك سواءٌ منهم الرادَّ أمِ المردودَ عليهِ، لأن الحقَ يُعرَف (بنُورِهِ ودلائِله لا بحاكيِه وقائِله عند أهلِ الإنصاف، وليس عند ذوي التعَصُبِ والإعتساف، وإنما الذي يُضيُر أولئكَ أو هؤلاءِ، هو الكلامُ بغير علمٍ، وإلقاءِ القولِ على عواهِنِه، والتكلُمِ بغيرِ حقٍ على عباد الله) (١).

نعم؛ إن مـن أصولِ منهجِ أهــلِ السُنة والجماعة كشفَ الأهـواءِ والبدعِ المُضلةِ، والتحذيرَ من كلِّ ما خالَفَ مِن –قولٍ أو فعلٍ– صريحَ الكتابِ وصحيحَ السُنة، وكشفِ عَوارِ دُعاةِ الفِتنةِ وتحذيرِ الناسِ منهم والبَراءةِ من فِعلاتهم؛ ولكن لابد لهذا أن يكونَ مبنّياً على علمٍ يقينيٍّ، وسلامةِ صدرٍ، ومجانبةِ الظُّلمِ والجَوُرِ، كما هومعلومٌ عندَ

---

(١) من رسالة "حول فقه الواقع" للألباني.

أئِمةِ العِلمِ والفَضلِ، إنطلاقاً من قولهِ سُبحانَه: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (المائدة: ٨).

وذلك أن مسائلَ التبديعِ والتفسيقِ من مسائل (الأسماء والأحكام) التي تتعلقُ بها الموالاةُ والمُعاداةُ، فلا تُؤخذُ بالظن والشُبهة والتأويل (١).

فالحذرُ من الإقدامِ على الطَّعنِ في العلماء، مع عدم البلوغِ إلى مقاماتِهم، واختلافِ أحوالهم، فإنّ (العلماء هم أئمةُ الأنامِ، وزواملُ الإسلامِ، الذين حَفِظوا على الأمُةِ مَعاَقِدَ الدينِ ومعاقِلَهُ، وحَمَوا من التَغييرِ والتَكديرِ مواردَهُ ومناهِلَه، حتى ورد من سبقت له مِنَ اللهِ الحُسنى تلكَ المناهلِ صافيةً من الأدناس، لم تشُبها الآراءُ تغييراً، ووردوا فيه عيناً يشربُ بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) (٢).

---

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلامًا بنحوه كما في المجموع(١٢/٤٦٤).

(٢) من كلام الإمام ابن القم كما في كتابه "إعلام الموقعين" (١/٨) .

ثم الحذر كل الحذر من كل دعوة دخيلة على دعوتنا السلفية المباركة، أقامها ودعا إليها علماء سوء ودعاة فتنة... هدموا فيها القواعد، وغيروا فيها الثوابت، وطمسوا بها معالم السنة، ومزقوا فيها الكلمة.. وفرقوا بها الصفوف،فجعلوا أصحابنا شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون.

❊فقدموا القواعد على أدلة الشرائع.

ونادوا بإعلان النكير، ودعوا الناس إلى الخروج والنفير، فاستهانوا بدماء وأعراض المسلمين، وكل هذا تحت عنوان: (الإصلاح والتغيير)!!

فلا للدنيا أصلحوا، ولا للدين أقاموا!

وهذا بخلاف الذي عليه الأئمة المتقدمون وأهل السنة الأثريون (فإن عُلماءَ السُّوءِ شرُّهم على الدِّين أعظمُ من شرِّ الشّيطانِ، إذ الشّيطانُ بواسطتهم يتدّرجُ إلى انتزاعِ الدينِ من قلوبِ الخلق)[1].

(١) الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" (١/٤١).

فقد (جلسوا على بـابِ الجنةِ، يدُعون الناسَ بـأقوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلّما قالت أقوالهُم للناس: هلموا؛ قالت أفعالهُم: لا تستمعوا لهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أولَ المستجيبينَ لهُ، فهم في الصُورة أدلّاء، وفي الحقيقة قُطّاع الطرق) [١].

وإنّ من أبرزِ صفاتِهم، الطّعنُ في دعاةِ السُّنة والإصلاح، ف (علامة أهلِ البِدعِ، الوقيعةُ في أهلِ الأثر) [٢].

وإنّ قصدَهم من تَعلُّم العلمِ، التّنعُّمُ بالدُنيا، والتوصُلُ إلى المنزِلَةِ العُليا عند أهلها، فقد روى أبو داود بسند صححه الألباني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

«من تعلم علماً مما يبُتغى به وجُه الله –عزوجل– لا يتعلمُه إلا ليصيبَ عرضاً من الدّنيا لم يجد عَرفَ الجنةِ –أي ريحها– يوم القيامة».

(١) من كلام ابن القيم كما في "الفوائد" ص (١٢٢).

(٢) أنظر "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" للإمام الصابوني .

وإنّهم لطالما طَرقوا أبوابَ الملوكِ والأمُراء، دُونَ تحَرُّزٍ من مخالطتهم، فَفُتِنوا بهم، فأصبحوا مَطيَةً لهم يرتحِلُونهم متى شاؤوا، فزينوا لهم الباطل واتبعوا أهواءهم، وفي المسند عند الإمام أحمد بسند صححه الألباني في "الصحيحة" (١٢٧٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من بَدا جفا، ومن تبع الصّيد غَفِل، ومن أتى أبواب السلطان افُتتن، وما ازداد عبدٌ من السُّلطان قُرباً إلا إزدادَ من اللهِ بعداً» .

وروى أبو نُعيمٍ في "الحلية" بسنده إلى حُذيفة ابن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إياكم ومواقِفُ الفِتن.

قيل: وما هي؟!

قال: أبوابُ الأمراءِ، يدخُلُ أحدُكم على الأميرِ فيُصّدقه بالكذبِ، ويقولُ ما ليس فيه).

وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله كما في "منهاج القاصدين" : إذا رأيتُم العالمَ يغشى الأمُراء، فاحذروا منه فإنه لِصٌّ .

ولقد كان الإمامُ المُبجّل أحمد بن حنبل رحمه الله، لا يأتي الخلفاء ولا الأمراءّ ويمتنع من الكتابة إليهم، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً[١] .

ومما يُذكر عن شيخِ السُّنةِ الألباني رحمه الله أنه لما أراد زيارة المغرب العربي كلمَ الشيخُ عبد الهادي التازي -المؤرخ المغربي المعروف- ملِكَ المغربِ الملك الحسن -الثاني- في إستضافتِهِ إستضافَةً رسميَّةً مَلكيةً وذكر له منزلته ومكانته العلمية.

قال: فأمر الملكُ الحسن الثاني بإستضافته إستضافة رسمية بمعية موكب من ثلاث سيارات ونزول في فنادق خمس نجوم على حساب الدّولة، وأشياء أخرى، منها فتح الخزائن الملكية و تيسير دخول خزائن المخطوطات بتوجيه من الملك.

---

(١) انظر " الآداب الشرعية " لابن مفلح.

ومن نظر في "أخلاق الشيوخ" للمروذي: عجب من كثرة نهي الإمام أحمد عن هذه الخصلة الذميمة.

قال التازي: ففرحتُ وشكرتُ الملكَ على مكرمتِه واتصلتُ على الشيخ الألباني لأبُشّرَهُ؛ فغضِبَ غضباً استنكرتُه، ورفض جميعَ المَكرَمةِ باستثناء موضوع المخطوطات!!

وقال رحمه الله: إذا أردت أن تُكرِمَني، فأعطني سيارتك، وأما النُّزول، فسأنزل على بعض المشايخ في المدن التي سأزورها!

قال التازي :فاهتممتُ لذلك جداً، وكيف أعتذر من الملك وماذا سأقول له؟!

ثم اتصلت بالملك، وقلت: إنّ الشيخ الألباني يشكركم ويعتذرُعن قَبُول الضيافة الملكية!!

فقال الملكُ: رفض الضيافة الملكية؟!

فقلتُ: ليس رفضاً تاماً وإنما.. ، فقاطعني الملكُ وقال: هذا عالمٌ مؤمنٌ صادقٌ .. لا باس . انتهى.

نعم هذه هي مواقِفُ العُلماءِ الرّبَانيينَ على مدى الدّهرِ والسِّنين، إلّا أنه قد رخّصَ بعضُ العلماءِ إتيان الملوكَ والحكّام بقصد القيام

بواجب الأمر بالمعروف والنهّي عن المنكر والمناصحة والشّفاعة الحسنة، ورفع حاجات الضّعفاء والمظلومين ونحو ذلك [١].

* * *

(١) انظر "الآداب الشرعية "لابن مفلح. وفي رسالة الإمام الشوكاني "رفع الأساطين في حكم الإتصال بالسّلاطين": تفصيل حسنٌ لمن أراد التّوّسع.

قال الشيخُ رحِمَهُ اللهُ تعالى:

وأن يُقرِنوا علمَهم النّافع -الذي هو عندنا جميعاً لا يخرُج عن كونِه كتاباً وسنّة وعلى منهج السّلف الصالح- ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ العملَ بهذا العِلم حتّى لا يكونَ حجةً عليهم، وإنما يكونُ حجةً لهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء: ٨٨).

التعليق:

اعلم وفقّني اللهُ وإياكَ لمرضَاتِهِ، وجَعلنَا مِمَّن يَخشاهُ ويتقيهِ حقَ تُقاتِهِ؛ أنَّ العلمَ النّافع لا بدَ أن يكونَ مقروناً بالعملِ الصَّالحِ، فالعلمُ والعملُ بمثابةِ الرُّوحِ والجَسدِ .

قال الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي: (ثم إنّي مُوصِيكَ يا طالبَ العِلمِ بإخلاصِ النِيَّةِ في طَلبهِ، وإجهادِ النّفسِ على العملِ بموجبِهِ، فإنَّ العلمَ شجرةٌ والعملَ ثمرةٌ، وليسَ يُعدُّ عالماً من لم يكن بعلمِهِ عامِلاً، .. والعلمُ يُرادُ للعملِ كما العملُ يُرادُ للنجاةِ، فإذا كان

العملُ قاصراً عن العلمِ، كان العلمُ كَّلاً على العالمِ... ، ونعوذُ باللهِ من علمٍ عادَ كلاًّ وأوُرَثَ ذُلاًّ وصَارَ في رقَبَةِ صَاحِبِهِ غِلّاً)[١] .

ولقد أخرج الإمامُ أحمدَ في " مُسنَده") وابنُ حبِان في (صحيحه) بسندٍ صَحَحهُ الألبانيُ كما في (صحيح الترغيب) عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَ النبيَ ﷺ قال: «مررتُ ليلةَ أُسريَ بي بأقوامٍ تُقرَضُ شِفاهُهم بمَقاريضَ من نارٍ، فقلت: من هؤلاءِ يا جبريل؟! قال: خُطباءُ أمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعَلون».

وروى البخاريُ ومسلمٌ من حديثِ أسُامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال:

«يُؤتى بالرجلِ يومَ القيامةِ، فيُلقى في النّارِ، فتَندِلقُ أقتَابُ بطنِه فيدُورُ بها كما يَدوُر الحمارُ برحاه، فيجتمُع إليه أهلُ النارِ فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ؟ فيقولُ: بلى كنتُ آمرُكم بالمعروفِ ولا آتيِه، وأنهاكم عن المنكرِ وآتيه» .

---

(١) كما في كتاب: اقتضاء العلم العمل ص (١٤).

وفي"معجم الطبراني" بسند يحسنه الألباني كما في "الاقتضاء" للخطيب البغدادي عن جنُدبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ العالمِ الذي يُعلّمُ الناسَ الخيرَ وينسَى نفسَه كمثلِ السراجِ يُضيءُ للناسِ ويَحرقُ نفسَهُ».

ويقول أميرُ المؤمنين عليُ بن ابي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا حملةَ العلمِ، اعمَلوُا بهِ، فإنما العالمُ من عَمِلَ بما عَلِمَ، ووافَق عمُله علَمَهُ؛ وسيكونُ أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يُجاوِزُ تراقيِهم تخالُف سريرتهُم علانيتَهم ويُخالفُ عملُهم علمَهم، ويجلِسُونَ حِلقاً فيباهي بعضُهم بعضاً، حتى إن أحدَهم ليغضبُ على جليِسه حينَ يجلسُ إلى غيرِهِ ويدَعَهُ؛ أولئك لا تصعُد أعمالهم في مجالِسهم تلكَ إلى الله -عز وجل) [١].

وقال ابو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا تكونَ عالماً حتى تكونَ متُعلماً، ولا تكونَ بالعلمِ عالماً حتى تكونَ به عاملاً) [٢] .

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في "الجامع لآداب الراوي" : بسند ضعيف.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في " الاقتضاء" (١٧).

وقال -أيضاً - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (ويلٌ للذي لا يعلَمُ مرّة، وويلٌ للذي يعلمُ ولا يعملُ سبعَ مراتٍ) (١) .

وقال سَهلُ بن عبدالله التسّتري رحمه اللهُ: (الناسُ كلُّهم سُكارى، إلا العلماءُ، والعلماءُ كلُهم حيارى، إلا من عَمِلَ بعلِمه) (١).

وقال مطُر الوراق رحمه الله: (خُذِ العِلمَ ما نفعَ، وإنما ينفعُ اللهُ بالعلمِ مَن عَلِمهُ ثم عَمِلَ بهِ، ولا ينفَعُ به من علِمَه ثم تركه) (٢).

وقال سفيان الثورى رحمه الله: (إن أنا عَمِلتُ بما أعلمُ، فأنا أعلمُ الناسِ، وإن لم أعمل بما أعلم، فليس في الدّنيا أحدٌ أجهلَ مني)(٣) .

وليُعلم أن من مقتُضياتِ العِلمِ – أيضاً - تعليَمهُ ونشَرهُ بينَ الناس؛ لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في " الاقتضاء" .

(٢) "الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب البغدادي رقم (٣٣).

(٣) "الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب البغدادي رقم (٣٤).

(المائدة: ٦٧).

قال الإمام القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية من كتابه "الجامع لإحكام القرآن": (وهذا تأديبٌ للنبي ﷺ، وتأديبٌ لحمَلةِ العلمِ من أمته؛ ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته.

قلت: يعني– القرطبي: سيما وهو القائلُ ﷺ كما في (البخاري) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «بلغوا عني ولو آية» .

وقال الإمام القرطبي –أيضاً– رحمه الله عند قولِ الله عز وجل: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

(هذه الآيةُ أمرٌ من اللهِ تعالى لنبيِه ﷺ بأن يدعُو جميعَ الخلقِ إلى سَماعِ تِلاوَةِ ما حَرّمَ اللهُ؛ وهكذا يجبُ على مَن بعدهِ مِنَ العُلماءِ أن يُبلِّغوا الناسَ ويبُينّوا لهم ما حرَّمَ اللهُ عليهم مما أحل) [١].

وقال رحمه الله –أيضاً – عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ

(١) الجامع لأحكام القرآن .

ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ (آل عمران: ١٨٧).

(هذا متصلٌ بذكرِاليهودِ، فإنّهم أُمِروا بالإيمان بمحمدٍ ﷺ وبيانِ أمرِه؛ فكتموا نعَته، فالآيةُ توبيخٌ لهم ثمَ مع ذلك هي خبرٌ عامٌ لهم ولغيرِهم.

قال الحسن وقتادة: هي في كلّ من أُوتي علمَ شيءٍ من الكتابِ، فمن علِمَ شيئاً، فليُعلِّمه وإيّاكم وكتمانُ العلمِ فإنَّهُ هَلَكَةٌ.

وقال محمدُ بن كعبٍ: لا يحلُ لعالمٍ أن يسكتَ على علمِه؛ ولا لجاهلٍ أن يسكُتَ على جهله ...) أ.هـ

وقد روى البخاريُ في صحيحهِ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إنّ الناسَ يقولون: أكثرَ أبو هريرة !

ولولا آيتانِ في كتابِ اللهِ ما حدّثتُ حديثاً ثم يتلوا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ

فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

(البقرة: ١٥٩).

* * *

قال الشيخُ رحِمَهُ اللهُ تعالى:

ثم أُحذِّرُهم من مُشارَكةِ الكثيرينَ ممن خرجوا عن الخطِ السَّلفي بأمورٍ كثيرةٍ وكثيرةٍ جداً تجمعُها كلمةُ (الخُروجِ على المسلمين، وعلى جماعتِهم) وإنما نأمرُهم أن يكونوا كما قال عليه الصلاةُ والسّلام في الحديثِ الصحيح: «وكونوا عباد الله اخواناً». رواه مسلمٌ.

التعليق:

إنَّ الواقعَ الذي تَعيشُه أمتنُا -أصلحَ اللهُ أحوالها- وما وصلت إليهِ من تمزُّقٍ وشَتاتٍ وتبايُنٍ بينَ الآراءِ، وأحزابٍ مُتفرّقةٍ؛ سببُه (الخروجِ عن منهجِ الله الصّحيح والإسلامِ الصافي) الذي جاءَ بِهِ النبيُ محمدٍ ﷺ وتَبِعَهُ عليه أصحابُه الكرامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

(وذلك يعود لأمرينِ اثنينِ:

أحدُهما: ضَحالةُ العِلمِ .

والأمرُ الأخرِ: أنّهم لم يتفقهّوا بالقواعدِ الشرعيةِ، والتي هي أساسُ الدعوةِ الإسلاميةِ الصحيحةِ، التي يعُدُّ كلُّ من خرَجَ عنها من تلكَ الفِرقِ المُنحرفَةِ عن الجماعةِ التي أثنى عليها رسولُ اللهِ ﷺ في غيرِماحديثٍ، بل والتي ذكرهَا ربُنا عزوجل وبيّنَ أنّ من خرَجَ عنها يكونُ قد شاقَ اللهَ ورسولَه ﷺ، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

فاتباعُ سَبيلِ المؤمنين، أمرٌ هامٌ جداً إيجاباً وسلباً، فمن اتبعَ سبيلَهم، فهو الناجي عند ربِ العالمين، ومن خالفَ سبيلَهم فحسبه جهنم وبئس المصير) [١] .

ولقد أخرجَ الإمامُ أحمد والنسائيُ والدارميُ بسند صححه الألبانيُ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) "فتنة التكفير" للألباني .

خطّ لنا رسولُ الله ﷺ خطّاً ثم قال: «هذا سبيلُ اللهِ» ثم خط خطوطاً عن يمينِه وعن شمالِه وقال: «هذه سبلٌ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعوا إليه، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾» (الأنعام: ١٥٣).

فسبيلُ اللهِ هو؛ الإسلامُ العظيم، والرأيُ القويم، والصراطُ المستقيم، وهو (الإعتقادُ الحقّ، والعملُ الصّالح) وكلُّ سبيلٍ غيرَ هذا؛ فهوسبيلُ الشّيطانِ، الذي بُنيَ على مُخالفةِ سبيلِ المؤمنين، فهو سبيلٌ مائلٌ عنِ الحقِ، فيه تقصيرٌ وانحراف، وتعدّدٌ وإختلاف، ونتائِجُه خطيرةٌ جداً تعودُ على الإسلامِ بالضررِ، وتُؤخِّرُه سنينَ عدداً، ويُعيدُالدَّعوةَ إلى مهدِها، كما هوحاصلٌ -وللأسفِ- في أقطارٍ كثيرةٍ، ولاحولَ ولاقوةَ إلابالله، وهومبنيٌ على (الاستعجالِ) وهذا مخالفٌ لسُنةِ اللهِ الكونيَة والشرعيَة.

قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فمما ينبغي على الدعاةِ -الذين يُريدون نُصرَةَ الإسلامِ ويسعونَ لتحقيقِ ذلكَ ويتمنى أحدُهم أن يكونَ لبِنةً في صرحِ الإسلامِ العظيم -أن يوجِهوا الناسَ إلى (سبيلِ المؤمنين) فلا قِوامَ لنا إلا بهذا الأصل، ولا محيدَعن العُودةِ إليه، ولاصلاحَ للأُمةِ إلا بهِ .

كما جاء هذا المعنى جليّاً في كلامِ إمامِ دارِالهجرةِ مالك بن أنس رحمه الله حيث قال: (لا يَصلُحُ أخرُ هذهِ الأُمّةِ إلابما صَلُحَ به أولُها)[١].

فعلى الخُطباءِ والعلماءِ والدُّعاةِ؛ أن يُربّوا المسلمينَ على قبَولِ حُكمِ الإسلام، والاستسلامِ له، ثم دعوة الحكّامِ (بالتّي هي أحسن للتّي هي اقوم) إلى أن يستعينوا بالفقهاء والعلماء، فهم للمسلمين جماعاتٍ وأفرادٍ، ضياءُ السّبيلِ ومنارُ الطريقِ، وعلى منهجهم يسيرون.

---

(١) وردت في كتاب "المبسوط" للقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، وأنظر "الشفا" للقاضي عياض (٢/ ٨٨).

هذا ولقد أشارَ الشيخُ -رحمه الله- إلى حديثٍ يُعدُّ أصلاً أصيلاً من أصولِ الدين؛ وهو ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنّه قال: «كونوا عباد الله إخواناً؛ المسلمُ أخوا المسلم، لا يظلمُه ولا يَخذِلُه ولا يَحقِرُه».

وفي زيادةٍ عند الإمام البخاري: «ولا يُسلِمُه».

وهو بيانٌ لمعنى قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ (الحجرات: ١٠).

ف (هذا عقدٌ عقدَه اللهُ بينَ المؤمنين؛ أنه إذا وُجد من أيّ شخصٍ كان في مشرقِ الأرض ومغربها: الإيمانُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الأخر؛ فإنَّهُ أخٌ للمؤمنين، أخّوةً توُجِبُ أن يُحِبَّ له المؤمنؤنَ ما يُحبّون لأنفِسهم ويكرهون له ما يكرهون لأنفِسهم)(١).

فالمُؤمنُ -كما قال العلماءُ- لا يتوانى عن نُصَرةِ أخيهِ المظلومِ،

(١) تفسير السعدي.

ولا يخْذله فيتْرُكَ إعانتَه ومعونتَه، ولا يُسلِمُه إلى براثنِ العدوِ يعبَثُ فيه ويقتُلَه ويعتدي على أرضِهِ وعِرضِهِ، ويتركَهُ نهباً لعدوهِ يسومُه سوءَ العذابِ!!

فالأخّوةُ في الدّينِ هي؛ سعادةٌ ونجاحٌ، وهي شجرةٌ مثمرةٌ وارفةُ الظّلالِ، يستظلُّ بفيئها المؤمنون (بتوادُهِّم وتراحُمِهم وموالاةِ بعضِهم لبعضٍ).

قال شيخُ الإسلام ابن تيمه رحمه الله: (على المؤمنِ أن يُعادي في اللهِ ويُوالي في اللهِ، فإن كان هناكَ مؤمنٌ؛ فعليه أن يواليِهِ وإن ظَلَمَهُ، فإنّ الظُلمَ لا يقطعُ المُوالاةَ الإيمانيةِ ...، وإذا اجتمعَ في الرجُلِ الواحدِ: خيٌر وشر، وفجورٌ وطاعةٌ ومعصية، وسُنةٌ وبدعة، استحقَ من الموالاةِ والثوابِ بقدر ما فيه من الخيرِ، واستحقَ من المُعاداةِ والعِقَابِ بحَسَبِ ما فيه منَ الشّرِّ فيجتَمعُ في الشّخصِ الواحدِ موجباتُ الإكرام والإهانة ... هذا هو الأصلُ الذي اتفقَ عليهِ أهلُ

السُنةِ والجماعةِ وخالفهم الخوارجُ والمعتزلةُ ومن وافقهم) [١].

«فمثلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحُمِهم، كمثلِ الجَسَدِ الواحدِ»[٢] .

ولا يتحققُ هذا المثلُ النبويِ العظيمِ بمعناهُ الرائعِ الجميلِ، إلّا بتعاونِ العُلماءِ مع أفرادِ المُجتَمعِ تعليماً وتعلّماً، دعوة -ً وتطبيقاً.

❊ ❊ ❊

---

(١) كما في مجموع الفتاوى (١٢٩/٢٨).

(٢) مخرج في "الصحيحة" (١٠٨٣).

قال الشيخُ رحِمَهُ اللهُ تعالى:

وعلينا أن نترفَّقَ بدعوَتِنا (المخالفين إليها) وأن نكونَ - دائماً وأبداً- مع قولِه تباركَ وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ **(النحل: ١٢٥) وأحقُّ من يكونُ باستعمالِنا مَعهُ هذهِ الحكمةِ هو: (من كانَ أشدَّ خصومةً لنا في مبدئنا وعقيدتنِا) حتى لا نجمَعَ عليهم، ثِقلَ دعوةِ الحقِّ -التي امتنَ اللهُ عز وجلَ بها علينا- وبينَ أُسلوبِ الدّعوةِ إليه.**

التعليق:

إنّ مما لا شكَ فيه ولا ريبَ: أنّ الفظاظَةَ والغِلظَةَ تَنفُرُ منها القلوبُ، حتى ولو كانت من خِيرةِ خلقِ الله محمد ﷺ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ومن ترفقَ بدَعوتِهِ، ولانَت كلمتُه؛ كان متأسياً بالنبي ﷺ، وكفى به أسوةً حسنةً.

وليُعلم؛ أنَّ من لوازِمِ الرّفقِ واللّينِ، محبةُ اللهِ - عزوجل - كما قال النبيُ ﷺ: «إنّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرّفق ...» الحديث(١) .

ومحّبّةُ النّاسِ، كما قال أميرُ المؤمنين عليٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من لانت كلمته، وجبت محبته) (٢) .

وذلك أنّ الدّاعيةَ إلى اللهِ عندَهُ من الحّقِ ما يَثقُلُ على كثيرٍ من الناسِ، الذينَ تلوثَت أفكارُهم، وقادتهُم شهواتُهم، واستسلموا لأهوائِهم، فكان لزاماً عليه أن يترّفق بدعوتِه، وأن يلينَ بكلمتِه، قال الله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

(١) رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في كتابه "الفقيه والمتفقه".

فلا بد من مُناظرةِ الخَصمِ بِرِفقٍ، وحُسنِ خطابٍ، كما أَمَر اللهُ تعالى بهِ موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٤)[٢].

ولقد سُئل الإمامُ أحمد بن حنبل رحمه الله، كما في كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"لأبي بكر الخلال: كيف ينبغي أن يأمُر – يعني- بالمعروف ؟

فقال: (يأمرُ بالرِّفقِ والخُضوع ...) ثم قال: (إن أَسمَعُوهُ ما يكره؛ لا يغضب، فيكونُ يُريدُ ينتصُر لنفسِهِ).

و قال الإمامُ سفيان الثوري رحمه الله، كما في كتاب "الورع"للإمام أحمد: (لا يأمُرُ بالمعروفِ، إلا رفيقٌ فيما يأمرُ بِه، رفيقٌ فيما ينهى عنهُ، عدلٌ فيما يأمرُ بهِ، عدلٌ فيما ينهى عنهُ، عالمٌ فيما يأمُر بهِ، عالمٌ فيما ينهى عنهُ) .

فلا بّد من هذه الثلاث:

---

(٢) انظر تفسير ابن كثير.

العِلمُ .. والرّفقُ .. والصبرُ[١].

والرِّفق في اللغةِ ؛ هو ضِدُّ العنُفِ [٢] (فَهوَ لينُ الجانِبِ بالقولِ، والفِعلِ، والأخذِ بالأسهلِ وضِدُّه العُنفِ) [٣] .

وأما (اللّينُ) فهو ضِدُّ الخُشُونَةِ [٤] .. كما هومعلومٌ.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). أي: (لانَ جانِبُكَ، وحَسُنَ خُلقُكَ، وكثُر احتِمالُكَ) [٥].

---

(١) انظر "الأمر بالمعروف" لابن تيمية: وقد أفاض رحمه الله في بيان منفعة هذه الأصول، في ركن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في كتابه "الإستقامة" وأضاف لها أصلاً رابعاً ألا وهو (الحلم) فقال: (العلم عند الأمر والنهي، والرّفق فيهما، والحلم عند المناظرة، والصبر إذا قوبل بالأذى).

(٢) انظر " الصحاح " للجوهري.

(٣) انظر "فتح الباري" (٤٤٥/١٠) .

(٤) انظر "المفردات" للراغب الأصفهاني .

(٥) انظر "زاد المسير" لابن الجوزي.

وقال ﷺ: «ما كانَ الرِّفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَهُ » (١).

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ، كما عند مسلمٍ: «يا عائشةُ ! إن اللهَ رفيقٌ يُحِبُ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ مالا يُعطي على العُنفِ ومالا يُعطي على ما سِواهُ».

(فالرِّفقُ يتأتى معهُ من الأمُورِ مالا يتأتى معَ ضِدّهِ، ويَنالُ بهِ المَرءُ من الخيرِ مالا يَنالُ بغيرِهِ، والِرّفقُ، واللّينُ، والمُداراةُ؛ دونَ (المُداهنةِ) لأنّ المُداراةَ شيءٌ، والمداهنةَ شيءٌ أخر، (المُداهنةُ): تركُ الحّقِ للغيرِ، أي: من أجلِ الغيرِ . وأما (المُداراة) فهي إيصالُ الحّقِ إلى الغيرِ بالطّريقِ الأسهلِ، فالأسهلِ) (٢).

---

(١) رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) من كلام العلامة ابن عثيمين رحمه الله كما في "فتاوى نور على الدرب".

قال المناوي في" فيض القدير" (١/ ٣٥٦): (وهذا أصل في ندب المداراة إذا ترتب عليها دفع ضر أو جلب نفع بخلاف المداهنة فحرام مطلقاً، إذ هي بذل الدين لصلاح الدنيا، والمداراة بذل الدنيا لصلاح دين أو دنيا).

((فالمُداراةُ) هي الرّفقُ بالجاهلِ في التَعليمِ، وبالفاسقِ في النهّي عن فعلِهِ، وتَركِ الإغلاظِ عليه، حيثُ لا يظهَرُ ما هو فيهِ، والإنكارُ بلَطيفِ القولِ، ولاسِيما إذا احُتِيجَ إلى تألّفُهِ ونحوِ ذلِكَ) (١) .

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: (المُؤمنُ يُداري ولا يُماري، ينشرُ حِكمَةَ اللهِ فإن قُبِلَ؛ حَمِدَ اللهَ، وإن رُدَّ؛ حَمِدَ الله) (٢) .

هذا ولا بدَّ من معرفة أنّ دعوتنا الإسلامية، كما أنّها بنيت على الرّفق واللّين إلّا أنّه يُحتاجُ إلى الشّدة في مواضع وإغلاظ القول، وهذا من الحكمة كما في قوله تعالى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾.

والحكمةُ: كما قال العلماء: هي وَضعُ الشّيء في محلِّه، فالدّاعيةُ الحكيمُ هو الذي يُقَدِّرُ مواضِع اللّين والشّدّة.

---

(١) انظر "فتح الباري" (٥٢٨/١).

(٢) انظر "أخلاق العلماء" للإمام اللآجري (١٥١/٣).

وهذا ظاهرٌ في نصوص الوحيين الشّريفين.. نسأل الله أن يرزقنا الحكمة وحسن الخطاب.

❊ ❊ ❊

قال الشيخُ رحِمَهُ اللهُ تعالى:

أرجوا من إخوانِنا جميعاً. في جميعِ بلادِ الإسلام؛ أن يتأدبوا بهذِهِ الآدابِ الإسلاميةِ، ثُمَ أن يبتُغوا بذلكَ وجهَ اللهِ - عز وجل- لا يُريدونَ جزاءً ولا شُكوراً.

والحمد الله رب العالمين.

التعليق:

لما كانت هذهِ الوَصيةُ الجامعة؛ مُوافِقةً لما في الكتابِ العَزيزِ وصحيحِ السُنةِ وما عليهِ أسلافُنا الصّالحونَ، كان لا بدّ على كُلِّ من أرادَ أن ينشَغِلَ بالدّعوةِ إلى اللهِ -جلَ وعلا - جَعلَهَا قواعدَ في طريقِ دعوتِهِ يَسيرُ بها، وعلى نور معانيها، حتى تُثمِرَ دعوتُه، ويبلُغَ مُرادَهُ، واللهُ وحدَهُ المُوفِقُ للخيراتِ والمُتمِّمُ للصّالحاتِ.

هذا أخرُ ما أعاننا اللهُ -تعالى - عليهِ مِن تعليقاتٍ، أرجوا اللهَ - تبارك وتعالى - أن ينفعَ بها وأن يكتُبَ لي الأجرَ والمثُوبةَ عليها، وأن

يدّخِرها لي ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ (الشعراء).

وآخرُ دعوانا

(أن الحمد لله ربّ العالمين).

كتبه

فرحات الطويل

عفا الله عنه وعن والديه

في مجالسَ مُتَعَدِدة كان آخرُها مساء يوم الجمعة

٦ / صفر/ ١٤٣٦هـ

الموافق

١٨/ ١١ / ٢٠١٤ مـ